# المقاومات الشعبية في منطقة تيدكلت عين صالح

**السيد: محمد باخمد**

**أستاذ وباحث في تاريخ المنطقة**

**المحاولات الأوروبية لاكتشاف واستغلال تيدكلت:**

كانت الصحراء الكبرى الإفريقية عالما مجهولا بالنسبة للاوروبيين لقرون طويلة ولم يكتسب هومر وسيلاكس SCYLAX وبروماتوس PROMATHUS إلا معلومات محدودة عنها؛ غير أن هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد قدم عنها معلومات جد هامة للأوروبيين بعد أن قام برحلة إلى برقة ودواخل ليبيا، وهو الذي قال أنها كانت قبل نصف مليون سنة أقل جفافا ونقصا في الماء بدليل أن قبائل الغرامانت LES GRAMANTES والتي ينحدر منها سكان توبوس TOUBOUS في تبستي مارست حروبا بالعربات التي تجرها الخيول ضد الأحباش وهو ما أكده الباحث الأثري هنري لوت HENRI LHOTE المتخصص في ما قبل التاريخ؛ قال بأن العربات كانت تجرها الخيول من ليبيا إلى أدرار السوداني وقد اكتشفت رسوم لصخور الطـــاسيلي والهقار وهي شاهدة على ذلك عام 1932 من طرف الضابطين دوبري ونولي.

أما الاهتمام الأوروبي بالصحراء فيعود إلى منتصف الأربعينات من القرن الماضي، وقبل هذا التاريخ كان للأوروبيين تصورا عن الصحراء وعن أهمية تجارتها وثرائها يكتنفه كثير من الخيال والمبالغة، فالرحلات التي قام بها الأوربيين منذ أواخر القرن الثامن عشر في المناطق الصحراوية رسخ الاعتقاد في أهمية التجارة الصحراوية لدى رجال المال، والسيطرة عليها تمحورت في ثلاث نقاط بارزة:

**الأولى:** وهي النقطـــة الهامة والأساسية وتتمثل في الغزو والتوسع الذي اعتمدوا فيه على الاستكشاف للتعرف على هذا المحيط الشاسع وإمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية لاستغلالها واستثمارها، ودراسة المجموعات السكانية ثقافيا عادتها وتقاليدها وتاريخها السياسي.

**الثانية:** ماخدم التوسع هو وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والبرية وأسلاك الهاتف، وهذا لضمان تنقل المستكشفين في ظـــروف آمنة.

**الثالثة:** ظـــهرت كنتيجة للاهتمامين السابقين، وهي إنشاء بحر داخلي صحراوي من أجل إحداث تغيير جذري في الظـــروف الطبيعية والمناخية القاسية، فاتجهت أنظـــارهم إلى أحواض الجريد التونسي وأحواض بسكرة ووادي سوف في الطرف الشمالي لحوض إيغرغر، لاتخاذها نواة لهذا البحر الداخلي الصحراوي الذي قيل أنه كان موجودا في الزمن القديم وأن هيرودوت تحدث عنه ويدعى بحر تريتون الذي سيرتبط بالبحر المتوسط عن طريق شط فجاج إلى خليج قابس ولهذا بدأت أول الرحلات.

الماجور الإنكليزي غوردن GORDON كان أول أوربي يدخل تيدكلت، كان هذا الماجور يعرف داخل المجتمع؛ بالرايس أتى إلى هذه المنطقة من مدينة غدامس (ليبيا) دخل إلى عين صالح في نصف شهر ديسمبر سنة 1825 وغادرها يوم 10 جانفي 1826 متوجها إلى تمبكتو حيث تم اغتياله أثناء رجوعه مما يعني أن مغامراته فاشلة وبدون جدوى.

بعده جاء دور الألماني جيرهاردت GERHARDT انطلق من المغرب مارا بصحراء تفيلالت ثم الساورة ثم توات إلى أن وصل إلى تيمطن كان ذلك في 12 سبتمبر 1864، وكانت معه قافلة وكان يحسن اللغة العربية ويرتدي اللباس المحلي. في يوم 13 سبتمبر دخل إلى أولف الغرب وتم استقباله من طرف شيخ أولاد رنان يوم 15 توجه إلى تيط ويوم 16 كان في إينغر وبعد الغد دخل إلى

عين صالح ونزل ضيفا عند الحاج عبد القادر قائد أولاد باجودة وكانت معه رسالة مضمونة، ثم حاول التوجه إلى تمبكتو إلا أن مشروعه فشل لعدة أسباب، وبعد المكوث شهر ونصف في عين صالح رجع الباحث الألماني إلى طرابلس (ليبيا) مارا بغدامس ومرّ في طريقه على فقارة الغرب وكان ذلك يوم 01 نوفمبر 1864.

ثم جاء دور الباحث الفرنسي بول سولييه PAUL SOLEILLET الذي مرّ بمدينة المنيعة ثم تادمايت حتى وصل إلى مليانة شمال عين صالح وبقي هناك يومين 6 و7 مارس 1874 إلا أنه رجع لكون الحاج عبد القادر قد رفض استقباله في عين صالح.

ثم جاء لارغو P. LARGEAU بعد ذلك في مهمة بحث متجها نحو الهقـــارمرورا بعين صالح إلا أنه تعطل في تقرت وورقلة مما أدى إلى أن مشروعه فشل أيضا بسبب إفشاء سره فوصل حاسي الزميلة وأظـــهر له أهل تيدكلت العداء فرجع أدراجه.

جاء بعد هذا الفرنسي باحث آخر وهو الملازم بالات PALAT بدء بمدينة المنيعة مارا بالقرارة وصولا إلى تهنتاس مرورا بـــ تتركوك وكان ذلك يوم 12 ديسمبر، كان بالات يتنقل من مكان إلى آخر متسترا باللباس الخاص بالمنطقة حتى لا يلفت الانتباه، ولكنه كان لا يتقن اللغة العربية وقد دخل إلى عين صالح مرورا بدلول إلا أن نهايته كانت قتله يوم21 فيفري وذلك بحاسي هاتو غرب أدرار.

بعد ثلاث سنوات جاء دور كاميل دولس CAMILLE DOULS الذي دخل إلى عين صالح آتيا من طنجة مرورا بتافلالت ثم الساورة فتوات ووصل إلى مدينة أولف في 1888 وكان مرفوقا بقافلة، إلا أنه قتل شنقا وهو في نوم عميق وقت القيلولة، وذلك في منطقة تسمى حاسي إلغن موجودة بين أولف وأقبلي وكان ذلك على يد رجلين من التوارق اللذان كانا معه دليلان.

سنة 1890 جاء دور فورو F. FOUREAU حيث بدأ بمنطقة عين طيبة مرورا بتادمايت ثم حاسي أولقي وجبل ابيوض سنة 1892 وتقدم من جديد نحو إمسقم في أواخر سنة 1893 وصل حاسي المنقار مرورا بطريق المنيعة فتيدكلت إلا أن الجميع صعب عليهم استغلال هذه المنطقة.

بعد 6 سنوات جاء دور الحملة الاستكشافية العسكرية والتي سميت بمهمة فلامون بان FLAMAND PEIN في 24 جانفي 1899 حيث وصل جيش الاستعمار لأول مرة إلى المنيعة بقيادة الجنرال دوكليفيا DEGALLIFET فوجدها خالية من سكانها، مع العلم أن إخلاء المدن يعد حيلة من حيل المقاومة، وأشهر مثال في التاريخ هو إخلاء المسكوفين لموسكو أمام نابليون، وقد تلقي العدو عدة غارات من قبائل المنيعة استهدفت ورشة التنقيب عن المياه، وتمركز الجيش في منطقة المنيعة التي تعد المرحلة الأخيرة في اتجاه عين صالح من جهة وتيميمون من جهة أخرى، وتم إنشاء تحصينات عسكرية قرب المنيعة نذكر منها فورميربيل FORT-MIRIBEL وحاسي انفيل و FORT-MAC-MAHON التي بنيت في 1893م بأمر من جيل كامبو JULES CAMBON الحاكم العام الفرنسي بالجزائر والمعروف بتحمسه للاستيلاء على مناطق تيدكلت وتوات.

ولم تمض سنوات قليلة حتى انطلقت من هذه التحصينات الهجمة العسكرية الفرنسية اتجاه مناطق عين صالح وفي أول الأمر في شهر نوفمبر 1899 تحت غطاء مهمة استطـــلاعية علمية، والمعروفة بمهمة فلامون FLAMOND وبالتحديد في يوم 27 نوفمبر 1899 انطلقت أول قوة عسكرية للعدو يقودها قبطـــان بان PEIN المعروف والملقب بغازي قصور تيدكلت وتوات في كتب تاريخ الاستعمار متجها نحو عين صالح وكانت مدعمة بطابور قبطـــان جرمات C. GERMAIN وفي يوم 27 ديسمبر 1899 وصلت إلى جوار اقسطن.

**الغزو الفرنسي:**

في شهر ديسمبر 1899 علم سكان تيدكلت بأن هناك فرقة فرنسية تقوم بمهمة استكشافية للمنطقة فقام أبناء باجودة بمراسلة ملك المغرب يطلبون منه النجدة فأتفق سكان عين صالح في اجتماع على أن يتحدوا لمقاومة الفرنسيين، وبعثوا برسالة تهديد إلى الفرنسيين يبلغونهم فيها بأن لا يتعدوا حاسي المنقر بعد استعدادهم للمعركة.

**معركة إقسطن (الفقيقيرة):**

مهمة فلامون المدعمة بقوة إضافية من المرتزقة يقودها المرتزق محمد بن الطيب نائب القادرية بورقلة حطت رحالها يوم 23 شعبان 1317هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 1899 قرب فقارة الحاج عبد القادر زعيم جماعة إقسطن فأشار أعضاء فرقة فلامون إلى معسكر المرتزقة SAHARA SPAHIS من أجل التحالف ضد سكان عين صالح وأثناء علم سكان عين صالح بمجيء فرقة فلامون تجمعوا مرتدين ملابس العيد وأقاموا حفلا لمؤازرة المقاومين وتشجيعهم لمواصلة الكفاح حتى النصر، وقام المرابطون بتسليح جماعة منهم لمساعدة المقاومين إلى أقصى حد، ومما زاد حماسا حتى الشيوخ طلبوا المشاركة في هذه المعركة. وفي الصباح جاء إلى اقسطن رجال المقاومة من جميع القصور فوق جمالهم، غير مبالين بتهديدات العدو، يتقدمهم كبار القوم وعلى الساعة الثامنة انطلقت القوة العدوانية، أي يوم 24 شعبان 1317هـ الموافق لـ 28 ديسمبر 1899 اتجاه قصر اقسطن فاشتبكت مع رجال المقاومة في معركة عنيفة دارت على أرضية الكثبان الرملية التي تحيط بقصر اقسطن والتي استعمل فيها رجال المقاومة ما عندهم من الأسلحة البسيطة منها المناجل والبنادق الفلكلورية القديمة الصنع وانتهت هذه المعركة على الساعة العاشرة فلم تدم إلاّ ساعتين فكانت الخسائر مرتفعة جدا في صفوف المقاومين نتيجة فعالية سلاح العدو وكانت نتيجة هذه المعركة:

حسب المصادر الفرنسية:

- 56 شهيد، من بينهم أولاد باجودة المهدي وبوعمامة وسيدي بابة.
- 50 جريح خبأهم الشعب.
- 11 أسير من الشخصيات البارزة في عين صالح (الكبار).
- 38 أسير من مختلف قبائل عين صالح.

الخسائر المادية:

- 99 جملا غنيمة من طرف العدو.
- 500 قطـــعة سلاح.
- 11 حصانا مفقودة من بين 12 حصانا التي كانت تملكها عين صالح واحدة منها في حالة فرار.

خسائر جيش العدو:

- حسب مصادره قتيل واحد و14 جريحا وهذه النتيجة غير موثوق بها.

هذه النتائج حسب مذكرة بان PEIN وحسب فرانو VOINOT أسفرت المعركة على:

- 50 قتيلا معظـــم الكبار كان من الأموات.
- 150 جريحا.
- 64 أسيرا.

وما بقي من كبار أولاد باجودة إلا دحاج وأخوه محمد، أما الحاج أحمد بيلو، قائد المرابطين، فقد أصيب بجرح عميق في رجله وانتهت هذه المعركة، فرجع الجيش الفرنسي إلى معسكره الذي كان يقيمه قرب فقارة الحاج عبد القادر.

**الفرنسيون يدخلون إلى عين صالح:**

أصاب الخوف والهلع كل سكان عين صالح بعد الهزيمة، بعد دخول القائد بان وجنده ليلا إلى عين صالح فسارع كبار البلاد إلى هذا القائد من

أجل التفاوض معه على شروط التعايش، وفي يوم 25 شعبان 1317هـ الموافق لـ 29 ديسمبر 1899 قام القائد بان برفع العلم الفرنسي على قصبة باجودة وبعد انتهاء هذه المعركة التي انكسرت فيها القوة المسلحة لعين صالح بحكم تفوق السلاح الفرنسي أجبر سكان عين صالح على دفع دية قدرها 10 آلاف فرنك دفعت بعد يومين إلى قوات الاحتلال، وقسم ذلك المبلغ على المرتزقة الذين كانوا في صفوف العدو والنتيجة كانت قاسية على سكان عين صالح والخسائر كانت جسيمة، حيث فقدت عين صالح خيرة أبنائها وخيرة رجالها، وفقدت كل شيء، الأرواح البشرية وخيرة كبارها وصغارها، فقدت البيوت والحيوانات والأسلحة والأموال فقدت كل هذا إلا الكرامة وحب الجهاد وكراهية المعتدي الغاشم.

إن هذه النتائج التي أصابت سكان اقسطن لم ترهب قبائل إينغر وأولف وتوات وفعالية السلاح الفرنسي لم ترهب سكان المنطقة بل زادتهم إيمانا وإصرارا على مواصلة الكفاح ومواجهة العدو ولو بالعصي وهذا ليس بغريب فإن إخوة لهم من قبائل التوارف استعملوا في معركة تيت صدورهم مما دفع الأستاذ GAUTIER إلى القول -غداة معركة تيت- بأن قبيلة من أهم قبائل التوارف (كيلا اغلا) أصبحت قبيلة من اليتامى، لأن في تلك القبيلة لم يبق أي رجل في سن الرشد.

سقطت عين صالح وبعد سقوطها البطولي فرض العدو على سكانها إجباريا تحت الحديد والنار، المساهمة في بناء تحصينات للجيش الغازي أجبرهم على إخلاء مساكنهم ليسكنها أفراد الجيش الفرنسي وأعوانهم ومن هنا برز أول وجه للاستعمار العسكري القاسي الذي فرض على السكان طوال سبعين سنة من الاحتلال، ورغم الخسائر التي مني بها المقاومون إلا أنهم لم يضعوا السلاح بل على العكس من ذلك بدؤوا بجمع قواهم لطرد المعتدي واستمرت التعبئة في القصور المجاورة واشتعلت نار الحرب من جديد.

**معركة الدغامشة:**

بمجرد علم سكان الغرب في توات بقدوم المحتلين تجهزوا وأعلنوا انضمامهم إلى سكان الشرق في تيدكلت عندما جاؤوا إلى البركة يوم 02 رمضان 1317هـ الموافق لـ 04 جانفي 1900م وكان عددهم حوالي 1300 مقاوم توقفوا بالبركة وأرسلوا إلى المعسكر الفرنسي بعين صالح رسالة يطلبون منه الرحيل ومغادرة عين صالح، فتوجه يوم 03 رمضان 1317هـ الموافق لـ 05 جانفي 1900م الفرنسيون قرب الدغامشة لمواجهة رجال المقاومة فانطلقت المعركة ولم تدم طويلا، إلا ساعتين، ونظرا لقوة المستعمر عددا وعدة نجم عن هذه المعركة الخسائر التالية:

- 150 قتيلا
- 200 جريحا.

حطمت هذه المعركة معنويات الضباط الفرنسيين وأجبرتهم على طلب الإغاثة بإلحاح من قواعدهم الخلفية.

**أنواع السلاح الذي كان يملكه رجال المقاومة في معركة الدغامشة:**

- اصطنبوليات 24 كرطوشة.
- سطاعشيات 16 كرطوشة.
- اتسعيات 09 كرطوشة.
- أزويجات البارود العادي والدون.
- بواشفر البارود العادي.
- مكحلة البارود العادي والدون.

**قصبة إينغر:**

بعد معركة الدغامشة واصل سكان الغرب تحركاتهم وشملت التعبئة القصوى كل قصر وكل بيت وكل قبيلة وكانت تحت قيادة باشا تيمي في

أفواج المجاهدين المتطوعين للدفاع عن كرامة المنطقة من كل قبائل الشرفاء والمرابطين وخنافسة وشعابنة ومحارز وطـلامنة وزنانيون وكلهم من منطقة توات كونوا في الأخير جيشا بلغ عدده 1300 مقاوم حسب شهادة فرنسية و3000 مقاوم حسب الأعيان الموجودين في المنطقة وتجمعوا في قصر إينغر على بعد 50 كلم غرب عين صالح ولقد انتشرت أنباء تحضيرات المقاومة الشعبية المسلحة وأخبر قادة العدو عن طريق جواسيسهم فأصابهم الرعب وأحاط بهم القلق مما اضطرهم إلى تدعيم صفوفهم بإمدادات من عمالهم وجاء قائد المنطقة بالمنيعة شخصيا على رأس جيش قوي ليضاعف معنويات جيش الفرنسيين المنهارة وهو الرائد بومقارتان BAUMGARTEN.

يوم 20 رمضان 1317هـ الموافق لـ 22 جانفي 1900 ترك سكان إينغر القوم الفرنسيين يدخلون إلى واحة النخيل، أما عند مجيء الرائد BAUMGARTEN يوم 22 رمضان 1317هـ الموافق لـ 26 جانفي 1900م رفقة بقية الجنود رفض سكان أينغر الخضوع للمستعمر فهاجمهم داخل قصورهم مما أدى إلى ترك منازلهم وتجمعوا داخل القصبة واحتموا بها وبقي الرائد BOUMAGARTEN يوم 24 رمضان 1317هـ الموافق لـ 26 جانفي 1900م، ومعه القوم ولم يستطـع الاستيلاء على القصبة وبعدها رجع إلى عين صالح في انتظـار وصول المدافع من المنيعة تلك المدافع التي كانت تنتظـر مناسبة الاستعمال في الميدان منذ 10 سنين وهذه المدافع هي التي مكنت الجيش الفرنسي من كسب النجاح في حملاته العسكرية التي خاضها ضد مقاومي مناطق توات.

إن التقارير العسكرية للعدو تثبت بأنه لولا المدفعية لما تمكن من السيطرة على هذه المناطق أما باشا تيمي فقد نظـم المقاومة في الغرب وجاء إلى إينغر مرفوقا بالمقاومين الذين كونهم في توات وتم فرض ضريبة قدرها 100 دورو على الذين يرفضون المشاركة، أما في أولف كان هناك عدد كبير من السكان أعلنوا المشاركة في المقاومة وبقيت الضريبة مفروضة على كل من لم يستجب للنداء مما أدى إلى فرار بعض السكان نحو توات فقام الباشا

إدريس بن الكوري بجمع 1300 مقاوم وتوجه إلى إينغر ودخلها يوم 25 شوال 1317هـ الموافق لـ 26 فيفري 1900م نظم فيها مقاومة عنيفة داخل قصبة أولاد أحمد بن جلول وقصبة أولاد حادقة مما دفع أهالي إينغر للمشاركة في المقاومة تحت قيادة الباشا إدريس كل حسب قدرته فمنهم من جمع التمر وحصد القمح قبل موعده وتجميعه داخل القصبتين للمكوث داخلهما في حين وصلت إلى عين صالح يوم 12ذو القعدة 1317هـ الموافق لـ 14 مارس 1900م قوة ثالثة بقيادة المقدم دو D'EU.

**الاستيلاء على إينغر:**

انطلق طابور الجيش الفرنسي مجهز بمدفعين، قادما من المنيعة و50 سيف و600 بندقية تحت قيادة المقدم دو D'EU، وكانت هذه القوة تضم القوات الثلاثة، قوة المشاة، قوة الفرسان، وقوة المدفعية ووصلوا إلى إينغر يوم 16 ذو القعدة 1317هـ الموافق لـ 18 مارس 1900م، أما رجال المقاومة فصعدوا إلى العروق، وفي ليلة 18 مارس قاموا بقتل أحد الجنود الفرنسيين، أما يوم 17 ذو القعدة 1317هـ الموافق لـ 19 مارس 1900م، صباحا هاجمت القوات الفرنسية المقاومين، يتقدمهم القوم وأجبروا المقاومين على التفرق، لكن المقاومين توجهوا إلى القصبة واحتموا بها وحين وصول الفرنسيين بجوارها هبت عاصفة رملية أجبرتهم على التراجع إلى الواحة (النخيل) وبدأ تبادل الطلقات النارية عن قرب، وتم خلالها استعمال المدفعية حيث تم توجيه فوهتها نحو القصبتين، والتي استخدمتا خصيصا لإيواء الأطفال والنساء والعجزة، وكان المقاومون يجهلون فعالية المدفعية في تحصيناتهم القديمة من الطين والطوب فانهارت قصبة أولاد أحمد بن جلول على اللاجئين إليها وكانت حينها المجزرة رهيبة ووحشية.

وبعد معركة حامية الوطيس، تمكن الفرنسيون من الدخول إلى القصبة، ففر بعض المقاومين نحو الشمال، بين القصر وحدائق النخيل ومنهم من أسر ومنهم من كبل وعرض في الساحة الكبيرة، ثم تم الاستعداد مرة ثانية للهجوم

على قصبة أولاد حادقة، وبقي المقاومون (أهل إينغر) يردون على المستعمرين من داخل القصبة (قصبة أولاد حادقة)، إلا أن الاستعداد الكبير الذي ظـــهر على جنود المستعمرين المدعمين بعدد كبير من القوم (المرتزقة) وبعض المجندين في الجيش الفرنسي لم يسمح للمقاومين (أهل إينغر) بالصمود، وأدى ذلك إلى رفع الراية البيضاء التي تدل على الاستسلام من طرف باشا تيمي وكان ذلك على الساعة الواحدة نهارا، وتم إيقاف النار وأعلن الجميع الولاء وعدم مسؤوليتهم على المقاومين المتمردين الذين رفضوا الاستسلام. لكن هذا التمرد لم يدم إلا وقتا قصيرا وذلك راجع إلى قوة واستعداد المستعمر فحبس عددا كبيرا من المتمردين.

كانت الخسائر في صفوف المستعمرين، وهذا حسب مصادره، 9 قتلى و16 معطوبا، أما رجال تيدكلت فكانت خسائرهم كبيرة 500 قتيل و130 أسير منهم 20 من الكبار (الأعيان).

فخلف ذلك القصف البربري مئات القتلى والجرحى في صفوف هؤلاء الأبرياء ومئات القتلى من الشهداء العظـــماء الذين واصلوا قتالهم رغم قلة وضعف فعالية أسلحتهم، واستمر الصمود من وراء شرفات المنازل وكثبان الرمل، ملئت أزقة القصر بدماء وجثث الشهداء أما الجرحى فقد أبادهم العدو وأمر المرتزقة تحت قيادة المرتزق محمد بن الطيب نائب القادرية بورقلة بنهب الأموال والتنكيل بالأسرى والسكان.

وانتهت المعركة بعد الزوال بهزيمة جيش إينغر وتوات حيث تمكن القليل منهم من الانسحاب وهلك الكثير في طريق أولف وهلك عدد آخر من جراء خطورة الجراح، وبعد انتهاء المعركة نسف العدو بمدفعيته القصبتين حتى يقضي على آثار الماضي المجيد الذي تميز به أبطال إينغر رغم ذلك فإن الذاكرة الشعبية لم تنسى تلك المعركة التاريخية بل لا تزال تردد فيها أشعار من الشعر الملحون وقصص بطولية.

**السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري:**

إن السياسة الاحتلالية التي اتبعتها فرنسا منذ احتلالها الجنوب الجزائري يمكن تلخيصها فيمايلي:

-فرض على السكان دفع الدية والغرامة المالية كما فرض عليهم قانون الأنديجينا التجنيد الإجباري.

-تسخير السكان بالحديد والنار لبناء حصون وخزانات ونوريات للماء وما إلى ذلك من إرهاب وقهر وطـــغيان بجميع أشكاله ولقد أعدت لهذا الغرض وسائل شحذتها خصيصا للقيام بهذا الدور ويمكن حصرها في أدوات ثلاثة:القمع البوليسي الذي مارسته السرايا الصحراوية ذات الشهرة البائسة على كل كائن حي وفي كل واحة وقصر بدون وازع ولا رقابة إلى جانب ما يمارسه ضباط المراكز وأعوان الإدارة الاستعمارية من الأهالي، القمع القضائي ويتمثل في مجموعة من الأحكام الاستثنائية التي يرزح تحتها سكان الأقاليم، وأداة القمع الثالثة هي الإرهاق المالي والقمع الضريبي، إن هذه الأوضاع المأسوية كان لها انعكاس خطير على وضعية السكان المعاشية مما نجم عنه تناقص عدد السكان، لقد سجل سباتي وهو واحد من المختصين بشؤون المناطق الجنوبية أن يكون عدد سكان واحات ڤورارة وتوات وتيدكلت كان في حدود 400 ألف نسمة عند منتصف الثمانينات من القرن الماضي ليصبح عند عام 1906 لا يتجاوز 60 ألف نسمة معظـــمهم راحوا ضحية القمع في المعارك والأوبئة ونقص الغذاء.